

## أسطورة سيزيف واقع اللبنانيين: صراع مع القمة وانتظار التسويات

تقول الاسطورة ان سيزيف امضى العمر حاملا الصخرة صعودا الى قمة الجبل. كلما وصل نزل من دون الصخرة التي تكون قد تدرجت مجددا الى قاع الوادي. ما ان يصل بها الى القمة حتى ينقلب واياها او هي من دونه، الى ان كان له ما اراد بعد جهد جهيد، ووصل الى القمة وثبت الصخرة

هكذا تحدثت الاسطورة. لكن الشعب اللبناني قلب الاسطورة واقعا. فهو لما يزل حتى اليوم يعاند ويكابد ويجالد للوصول الى القمة، حاملا ما هو اثقل من الجبال وامضى الما من النبال.

على جبهات عدة يقاتل الناس في لبنان. الرغيف والماء والكهرباء، والضرائب والاقساط المدرسية، والاعباء الحياتية والهموم المعيشية ولقمة العيش المغمسة بالعرق والدم، والقرش الابيض الذي لا يصمد الى اليوم الاسود.

يواجه اللبنانيون جدارا سميكا من اللامبالاة، وسورا عظيما من الفساد يمتد افقيا وعموديا، ارتفاعا ونزولا، بشكل كيان مواز ودولة عميقة. عشوائية في الممارسة وغياب كفاية في الاداء، رغم محاولات جديّة وصادقة ونزيهة لسد الثغر وبناء المؤسسات.

من الانصاف والامانة القول ان العهد الجديد برئاسة الرئيس العماد ميشال عون حقق الكثير:

تعزيز للحمة الوطنية والمناعة السيادية، القرار الحازم للمؤسسة العسكرية والانجازات النوعية للاجهزة الامنية، طرد الارهاب التكفيري من الجرود والحدود، توحيد كلمة لبنان في المحافل الدولية والعربية، مناقلات وتعيينات وتشكيلات ديبلوماسية وقضائية، وضع قانون جديد للانتخاب شد ازر المؤسسات الرقابية واعاد الاعتبار الى قرارات المجلس الدستوري والمجلس التأديبي والتفتيش المركزي والخدمات المدنية، اقرار سلسلة الرتب والرواتب التي رغم كل التحفظ الذي ساد حولها، تشكل احد اهم انجازات هذه المرحلة برعاية رئيس البلاد بالتكافل والتضامن مع المجلس النيابي والحكومة. وهي حق وصل الى اصحابه، ومطلب مزمن تحول واقعا ملموسا.

لا يمكن في هذا السياق عدم الايتان على ذكر

ويشمل الصفقات والتلزيمات والمزايدات والمناقصات، وكل ما يمت الى رفع منسوب النهب المنظم والهدر المقونن بصلة. يعطون امثلة على استمرار مهزلة النفايات ومسرحة البطاقة الممغنطة التي لا تتجاوز كلفتها 20 مليون دولار فيأتي من يقول انها تحتاج الى 120 مليون دولار لاعتمادها، فضلا عن مراعاة ومحابة ومراعاة اصحاب النفوذ، وذوي الحظوة، وحديثي النعمة، والوافدين الى نادي الاغنياء الجدد باعنائهم من اعادة ما للدولة الى الدولة في الاملاك البحرية والنهرية والعامّة، والتهرب من الضرائب، والعجز عن مكافحة التهريب الذي يحرم الدولة مليارات الليرات، ناهيك بالرعب المنتقل على الطرقات والذي يحصد كل يوم ضحايا جددا نتيجة حوادث السير المتزايدة بشكل مخيف ولا من يتحرك.

بين المنصفين والمنتقدين، بين الناظرين بايجابية الى ما تحقق والمنتقلين بتحفظ الى ما لم يتحقق، تبحث الدولة حتى الساعة عن مقاربة عملية للملف النازحين السوريين. وهو ملف مصيري بامتياز. تداعياته سلبية واثاره خطيرة: كثافة سكانية غير مسبوقة على رقعة جغرافية ضيقة، استنزاف للموارد المالية والمائية والكهربائية والاستشفائية والغذائية والتربوية. حوادث امنية متزايدة، ارتفاع نسبة الجرائم المرتكبة على يد نازحين، اكتناظ في السجون اللبنانية واستتباعا اشغال اضافي ومنهك للاجهزة الامنية والقضائية والعدلية. اهتزاز في الامن الاجتماعي وتوتر متصاعد في بعض اماكن وجود النازحين. عمالة مضاربة للنازحين وبطالة متفشية في صفوف اللبنانيين ومعالجة غائبة.

رغم المقاربات السياسية الداخلية المتباعدة والمتباينة في ملف النازحين، والموقف من الدولة السورية والتعامل معها، الا ان غالبية الاطراف السياسيين من كل الاطياف تؤيد عودة النازحين الى بلادهم، وتستشعر الخطر المتنامي من بقائهم على الارض اللبنانية في المدين المتوسط والبعيد. الخطر المائل يكمن في التوطين المقنّع وتخلي المجتمع الدولي عن "ورقة" النازحين بعدما



تحقق الكثير في العهد الجديد، ويبقى الكثير لتعزيز الامل في التجديد.

وصلت الامور في سوريا الى ما وصلت اليه على غير ما تشتهي وتبتغيه بعض الارادات الاقليمية والاوربية. تحول الموقف الاوروبي والاميري من "حاضن" انساني لقضية النازحين الى داعم سياسي لتحقيق اهداف مرتبطة بالخارطة الجغرافية - السياسية المستقبلية لسوريا. السوريون - وهم الغالبية - يريدون بقاء دولتهم وارضهم ومؤسساتهم موحدة. الا ان الطروحات الممتدة والمستجدة والطائرة والمتراققة مع استفتاءات ومعطيات تطرح اكثر من علامة استفهام حول المغزى من استفاقة الاثنيات، وبقظة القوميات، وطرح الفيدراليات، وتسويق الادارات الذاتية وخصوصا في الشمال السوري وفي شرق البلاد.

لعل اخطر ما يجدر التوقف عنده هو تصريح ستيفان دوميستورا بالذات الذي قال ان تقسيما ناعما يجري فوق الارض السورية بين واشنطن

وموسكو وبين طهران وانقرة. الامر الذي سيؤخر في رأي المنشأين حل ملف النازحين في لبنان والمنطقة في انتظار التسويات الكبرى، وخصوصا في العراق حيث تسبب الاستفتاء الكردي في استفار عراقي وصدام عسكري هو الاول من نوعه بين الاقليم الكردي والدولة المركزية العراقية على خلفية انفصال محتمل واعلان قيام الدولة الكردية.

لبنان - كما دائما - يقف على شفير ازمت المنطقة، ويشرف على مشاهد التحولات، ويرقب تداعيات التبدلات والتسويات.

لم يتعقد المشهد السياسي - العسكري - الديبلوماسي في المنطقة كمثل ما يحصل اليوم. الرئيس الاميري دونالد ترامب يقاتل على ثلاث جبهات: ايران وكوريا الشمالية وفنزويلا. يريد تدجين الحرس الثوري، وتطويع كيم جونج



ملف النازحين يباعد في المواقف ويقرب في المخاوف.

اون، وتطير مادورو كما فعل اسلافه بسلفادور الليندي.

ترامب يشاغب على الاتفاق النووي مع ايران، لكن لا يقدم على الغائه، واقصى ما وصل اليه هو تعليق التوقيع عليه واعتبار الاعوام الخمسة حتى 2022 "فترة سماح" وتحقيق وتدقيق ومتابعة لمدى التزام ايران اياه كما يقول الاميريون. مع كوريا الشمالية عاد الوضع مع ترامب سبعة وستين عاما الى الوراء، حين خاضت الولايات المتحدة بدءا من عام 1950، وتحت غطاء الامم المتحدة، اشرس معركة ضد المنظومة الشيوعية الصينية - الكورية

الشمالية ممثلة بماو تسي تونغ وكيم ايل سونغ جد كيم جونج اون الرئيس الحالي لبونغ يانغ. يومها مع تصاعد العمليات العسكرية وتهديد كوريا الشمالية باجتياح كوريا الجنوبية واسقاطها، هدد الجنرال الاميري الشهير بطل معارك المحيط الهادئ ومحرم الفيليبين وحاكم اليابان دوغلاس ماك ارثر، باجتياح الصين حليفة كوريا الشمالية

وبقصف بونغ يانغ بالقنبلة الذرية كما قصف الاميريون هيروشيما وناكازاكي في آب 1945. فما كان من الرئيس الاميري هاري ترومان الا ان عزله من منصبه واعاده الى المنزل. في سوريا تتداخل

المصالح الاقتصادية العليا المضمرة بالاهداف السياسية المعلنة الدنيا. الجيش السوري يدخل مناطق ويحرر بقعا، و"داعش" يخرج من الرقة في ما يبدو آخر فصول كتاب الارهاب قبل طي صفحته الاخيرة. يتبدى يوما بعد يوم ان الشمال السوري هو منطقة التنازع الاساسية بين اميركا وروسيا، وميدان التوتر الحقيقي مع تركيا التي ترفض قيام كيان ارهابي على حدودها الجنوبية كما تسمي انقرة الدولة الكردية وقوات سوريا الديمقراطية المدعومة بشكل اساسي من واشنطن

تهدف الى وضع اليد على حقل "العمر" النفطي الشهير الذي يشكل احد ابرز اهداف الاجندة الخفية في الصراع بين موسكو وواشنطن في شرق الفرات، في وقت يتصارع المتقاتلون على الفتات او حتى ما تبقى منه. المعارك الكبرى في المنطقة تشارف على الانتهاء لكن الحرب لم تضع اوزارها بعد. السباق لم ينته مع ان المشاركين فيه انهكوا واستنزفوا. التسوية الكبرى في المنطقة لم تنضج بعد، والتسوية الصغرى في لبنان صامدة. لكن اسرايل حاقدة وتسعى الى تحريك مستنقعات الفتنة الراكدة.